(اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) «حديث متفق عليه»

الإهـــداء

١ ـ إلى كل أُم وأب يريدان السعادة لأولادهم .
٢ـ إلى المعلمين والمعلمات الذين هم الأُسوة لطلابهم .
٣ـ إلى الطلاب والطالبات الذين يريدون النجاح .
٤ـ إلى الآباء والأبناء جميعاً أقدم لهم هذه الرسالة .
سائلاً المولى أن ينفع بها القرّاء ويجعلها خالصة له .

محمد بن جميل زينو

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن موضوع تربية الأولاد مهم جدًّا، يتوقف عليه مصلحة الآباء والأبناء معاً، بل يتوقف عليه مستقبل الأُمة والمجتمع؛ لذلك اهتم به الإسلام، والمربون، وعلى رأسهم الرسول المعلم، محمد ﷺ الذي بعثه الله معلماً ومرشداً للآباء والأبناء، ليكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

لذلك نجد القرآن الكريم ـ الذي فيه صلاحنا وفلاحنا ـ يذكر الله تعالى فيه قصصاً تربوية نافعة كقصة لقمان الحكيم وهو يوصي ولده بوصايا نافعة مهمة، وهذا رسول الله ﷺ يغرس في نفس ابن عمه عبدالله بن عباس عقيدة التوحيد منذ الصغر، وسيجد القارئ هذا كله، مع غيره من واجب الآباء نحو الأبناء، وكذلك واجب الأبناء نحو الأبوين في هذه الرسالة.

والله أسأل أن ينفع بها القرّاء، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

محمد بن جميل زينو

وصايا لقمان الحكيم لابنه

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾ «لقمان: ١٣»

هذه وصايا نافعة حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم:

١ - ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ «لقمان: ١٣»

احذر الشرك في عبادة الله، كدعاء الأموات أو الغائبين فقد قال ﷺ:

(الدعاء هو العبادة) «رواه الترمذي وقال حسن صحيح»

ولما نزل قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ «الأنعام: ٨٢»

شق ذلك على المسلمين، وقالوا: أيُّنا لا يظلم نفسه؟

فقال رسول الله ﷺ:

(ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه:

﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾) «متفق عليه»

٢ - ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ «لقمان: ١٤»

ثم قرن بوصيته إياه - بعبادة الله وحده - البرَّ بالوالدين لعِظَمِ حقيهما، فالأم حملت ولدها بمشقة، والأب تكفل بالإنفاق فاستحقا من الولد الشكر لله ولوالديه.

٣ ـ ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ «لقمان: ١٥»

قال ابن كثير ما خلاصته:

أي إن حرصا عليك كل الحرص أن تتابعهما على دينهما، فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنع ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفاً أي محسناً إليهما؛ واتبع سبيل المؤمنين.

أقول: يؤيد هذا قول النبي ﷺ:

(لا طاعة لأحد في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف)

«رواه البخاري ومسلم»

٤ ـ ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾

«لقمان»

قال ابن كثير: أي إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل أحضرها الله تعالى يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، وجازى عليها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

٥ـ ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أدِّها بأركانها وواجباتها بخشوع.

٦ـ ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ بلطف ولين بدون شدة.

٧ـ ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن

المنكر سيناله أذىً فأمره بالصبر، قال ﷺ:

(المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)

«صحيح رواه أحمد وغيره»

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ «لقمان: ١٧»

أي إن الصبر على أذى الناس لَمِن عزم الأمور.

٨ـ ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ «لقمان: ١٨»

لا تُعرِض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقاراً منك لهم، واستكباراً عليهم، ولكن أَلِن جانبك وابسُطْ وجهك إليهم.

قال النبي ﷺ:

(تبسمك في وجه أخيك لك صدقة) «صحيح رواه الترمذي وغيره»

٩ـ ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ «لقمان: ١٨»

أي مختال معجب في نفسه، فخور على غيره. «ذكره ابن كثير»

١٠ـ ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ أي اِمش مشياً مقتصداً، ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلاً وسطاً بَينَ بَينْ.

١١ـ ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ أي لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه، ولهذا قال:

﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ «لقمان: ١٩»

قال مجاهد: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير: أي غاية مَن رفع صوته أنه يُشبَّه بالحمير في علُوه ورَفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله، وهذا التشبيه بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم؛ لأن النبي ﷺ قال:

أ ـ (ليس لنا مثلُ السوء، العائد في هِبته كالكلب يعود في قيئه)

«رواه البخاري»

ب ـ (إذا سمعتم صياحَ الديكة، فسَلوا الله مِن فضله؛ فإنها رأت مَلَكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوّذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً)

«متفق عليه»

«انظر تفسير ابن كثير جـ٣/ ٤٤٦»

من هداية الآيات

١ـ مشروعية وصية الوالد لابنه بما ينفعه في الدنيا والآخرة.
٢ـ البدء بالتوحيد والتحذير من الشرك لأنه ظلمٌ يحبط الأعمال.
٣ـ وجوب الشكر لله، وللوالدين، ووجوب برهما وصِلَتهما.
٤ـ وجوب طاعة الوالدين في غير معصية الله، لقول الرسول ﷺ:
(لا طاعة لأحد في معصية الله إنما الطاعة في المعروف)
«متفق عليه»
٥ـ وجوب اتباع سبيل المؤمنين الموحدين، وتحريم اتباع المبتدعين.
٦ـ مراقبة الله تعالى في السِر والعَلن، وعدم الاستخفاف بالحسنة والسيئة مهما قلّت أو صغرت.
٧ـ وجوب إقام الصلاة بأركانها وواجباتها والاطمئنان فيها.
٨ـ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن علم، ولطف حسب استطاعته، بالحكمة والموعظة الحسنة.
قال الرسول ﷺ:
(مَن رأى منكم منكراً فلْيُغَيِّرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)
«رواه مسلم»

٩ـ الصبر على ما يلحق الآمر والناهي من أذى، وأنه مِن عزم الأمور.

١٠ـ تحريم التكبر والاختيال في المشي.

١١ـ الاعتدال في المشي مطلوب، فلا يُسرع ولا يُبطئ.

١٢ـ عدم رفع الصوت زيادة على الحاجة؛ لأنه من عادة الحمير.

١٣ـ الاعتدال في كل أمر من الأمور.

وصايا نبوية مُهِمة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

كنت خلفَ النبي ﷺ يوماً فقال لي :

يا غلام إني أعلمك كلمات :

١ـ اِحفظِ الله يحفظك :

(امتثل أوامر الله واجتنب نواهيه يحفظك في دنياك وآخرتك) .

٢ـ اِحفظ الله تجده تجاهك (أمامك) :

(اِحفظ حدود الله ، وراعِ حقوقه تجد الله يوفقك وينصرك) .

٣ـ إذا سألتَ فاسألِ الله ، وإذا استعنتَ فاستعِن بالله :

(إذا طلبت الإعانة على أمر من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله، ولاسيما في الأمور التي لا يقدر عليها غير الله، كشفاء المرض، وطلب الرزق، فهي مما اختص الله بها وحده) . «ذكره النووي والهيتمي»

٤ـ واعلم أن الأُمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليك :

(الإيمان بالقدر الذي كتبه الله على الإنسان خيره وشره) .

٥ـ رُفعت الأقلام وجَفَّت الصُحف : «رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح»

التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب لقول الرسول ﷺ لصاحب الناقة : (اِعقلها وتوكل) «حسن رواه الترمذي»

وفي رواية غير الترمذي :

٦ـ تَعرَّف إلى الله في الرخاء يَعرفك في الشدَّة :

(أدِّ حقوق الله والناس وقت الرخاء ينجيك وقت الشدة) .

٧ـ واعلم أن ما أخطأك لم يكن لِيُصيبَك، وما أصابك لم يكن لِيُخطئك :

(إذا منعك الله شيئاً فلن يصل إليك وإذا أعطاك الله شيئاً فلن يمنعه أحد) .

٨ـ واعلم أن النصرَ مع الصبر :

(النصر على العدو والنفس متوقف على الصبر) .

٩ـ وأن الفرَج مع الكرب :

(وأن الكرب الذي ينزل بالمؤمن سيكون معه الفرَج) .

١٠ـ وأن مع العُسر يُسرا : «حسَّنه محقق جامع الأصول بطرقه»

(وأن العُسرَ الذي يحل بالمسلم سيأتي معه اليُسر) .

من فوائد الحديث

١ـ حب الرسول ﷺ للأطفال وإركاب ابن عباس خلفه ومناداته : ياغلام لينتبه لايطيل عليه بل هي كلمات تحوي معاني عظيمة .

٢ـ أمرُ الأطفال بطاعة الله، والابتعاد عن معاصيه، يُوفر لهم السعادة في الدنيا والآخرة .

٣ـ الله يُنجي المؤمن عند الشدائد إذا أدَّى حق الله والناس عند الرخاء والصحة والغنى .

٤ـ غرس عقيدة التوحيد بسؤال الله تعالى، والاستعانة به وحده في نفوس الأطفال، وهو من واجب الوالدين والمُربين .

٥ـ غرس عقيدة الإيمان بالقدر خيره وشره في الأطفال، وهي من أركان الإيمان .

٦ـ تربية الطفل على التفاؤل، ليستقبل الحياة بشجاعة وأمل، وليكون فرداً نافعاً في أُمته : (واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرَج مع الكرب، وأن مع العُسر يُسراً) .

٧ـ يُعلم ﷺ أُمته الصبر في كل أمر وأنه من أعظم أسباب النصر .

٨ـ يرشد النبي ﷺ إلى أن الكرب لابُدَّ أن يعقبه الفرَج، ولاسيما إذا صحبه الدعاء .

٩ـ يخبر الصادق المصدوق ﷺ أن العسر سيأتي معه اليُسر .

أركـان الإســلام

قال رسول الله ﷺ: **بُنيَ الإسلامُ على خمس:**

١ـ شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله:
(لا معبود بحق إلا الله، ومحمد تجب طاعته في دين الله).

٢ـ وإقام الصلاة: (أداؤها بأركانها وواجباتها والخشوع فيها).

٣ـ وإيتاء الزكاة: (تجب الزكاة إذا ملك المسلم ٨٥ غراماً ذهباً أو ما يعادلها من النقود بدفع ٢,٥ في المئة منها بعد سنة، وغير النقُود لكل منها مقدار مُعَين).

٤ـ وحَج البيت: (أداؤه فريضة الحج مرة في العمر على مَن ملك المال والصحة والأمن).

٥ـ وصوم رمضان: (الامتناع عن الطعام والشراب والجماع، وجميع المفطرات من الفجر حتى الغروب مع نية العبادة) «متفق عليه»

من فوائد الحديث

أ ـ شهادة أن لا إلـه إلا الله تقتضي أن لا نعبد إلا الله، ولا ندعوا غيره وأن لا نعبده إلا بما شرع، وأن نحكم بشرعه المأخوذ من الكتاب والسنة.

ب ـ شهادة أن محمداً رسول الله تقتضي طاعته فيماأمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب مانهى عنه وزجر لأن طاعته من طاعة الله.

أركـان الإيمـان

قال رسول الله ﷺ: **الإيمان:**

١ـ **أن تؤمن بالله:** (بوحدانيته في الذات والأسماء والصفات والعبادة).

٢ـ **وملائكته:** (مخلوقات من نور لتنفيذ أوامر الله).

٣ـ **وكتبه:** (التـوراة، والإنجـيل، والزبـور، والقـرآن أفضلـها وناسخها).

٤ـ **ورسله:** (أولهم نوح وآخرهم وأفضلهم محمد ﷺ).

٥ـ **واليوم الآخر:** (يوم الحساب لمحاسبة الناس على أعمالهم).

٦ـ **وتؤمن بالقدَر خيره وشره:** «رواه مسلم»

(الرضا بالقدر خيره وشره؛ مع الأخذ بالأسباب)

من فوائد الحديث:

١ـ **الإيمان بالله:** يبعث على الراحة والطمأنينة ودخول الجنة.

٢ـ **الإيمان بالملائكة:** يهدف إلى العمل وتسجيل الأعمال.

٣ـ **الإيمان بالكتب والرسل:** يساعد على العلم والتعلم والهداية.

٤ـ **الإيمان باليوم الآخر:** يحث على العمل ومحاسبة النفس.

٥ـ **الإيمان بالقدر:** يبعث على الرضا بما قدره الله بالخير والشر.

الله فوق العرش

القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة، والعقل السليم، والفطرة السليمة تؤيد ذلك.

١ـ قال الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ «سورة طه» (أي علا وارتفع) كما جاء في البخاري عن التابعين.

٢ـ خطب رسول الله ﷺ يوم عرفة في حجة الوداع قائلاً: **(ألا هل بلَّغت؟) قالوا: نعم، فقال بأصبعه يرفعها إلى السماء ويَنكُتُها (يميلها) إلى الناس ويقول: (اللهم اشهد)** «رواه مسلم»

٣ـ المصلي يقول في سجوده (سبحان ربي الأعلى)، ويرفع يديه إلى السماء عند الدعاء.

٤ـ الأطفال حين تسألهم: أين الله؟ فيجيبون بفطرتهم السليمة: هو في السماء.

٥ـ وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ «الأنعام: ٣»

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: اتفق المفسرون على أننا لا نقول كما تقول الجهمية: (فرقة ضالة) إن الله في كل مكان! تعالى الله عما يقولون علُواً كبيراً!! «انتهى»

(ومعنى في السموات على السموات).

لكن الله معنا بعلمه يسمعنا ويرانا، وهو فوق العرش.